

الفصل الثامن والعشرون

يسوع غير المحبوب

يحظى يسوع بتقدير عظيم، فرجال السياسة يقتبسون أقواله، والسياسيون في مختلف الدول يحضرون الخدمات الكنسية وينتمون في الغالب لإحدى الكنائس المسيحية، وينظر علماء النفس إلى العظة على الجبل نظرة احترام وتقدير، ويشير الباحثون في العلوم الإنسانية إلى حياته، وعطفه على المرضى، والفقراء، والمضطهدين والمحتاجين. ويأخذ الناشطون في المجالات الإنسانية الكتاب المقدس في اليد ويبرزون لنا نفاذ اللاذع للنظام القائم في عصره. تستفيد الأحزاب السياسية بصفة منتظمة من الأشياء التي قالها ويشير محررو الصحف إلى أحداث حياته. ويذكر الكتاب الديويون شيئاً عنه في قصصهم. كثيرون ينظرون إليه كحالم رقيق، وكرجل مجرد من الأنانية كان يمتلك حكمة بالغة، وعطفاً وحباً – رجل صالح لم يلحق الأذى بأحد قط. يعجب الناس به لأنه كان على استعداد لأن يهب حياته لأجل قضيته. كثيرون يجعلونه مثلاً أعلى.

ومع ذلك فمعظمنا انتقائيون بشأن إيماننا به. إن الحديث عنه والإشارة إلى تعاليمه، في أغلبه، هو الشيء المألوف لدينا،

ولكننا انتقائيون ومتحاملون حين نقتبس أقواله. إن رجال السياسة يكررون غالباً ما قاله لمجرد أن يُنظر إليهم كمسيحيين. يشير علم النفس الإنساني إلى سلوكه ويضع عظته على الجبل في مرتبة رفيعة، ولكنه يعاني من مشكلة فيما يتعلق بوجهة نظرة عن الخطية وفساد الجنس البشري. يشير المتخصصون في العلوم الإنسانية إلى حياته وأعماله الصالحة، ولكنهم يتخطون بحذر الجوانب التي تتعامل مع العلاقة الشخصية معه وأسلوب حياته المقدسة. يبرز الناشطون لنا سلوكه تجاه النظام القائم، ونقده اللاذع له، وللمؤسسة الدينية في عصره، ولكنهم يفضلون أن يتجاهلوا المعنى الحقيقي للصليب، ووداعة يسوع، وتواضعه، ونفوره من العنف. لدى الكثيرين من الكُتاب الدنيويين شيء يقولوه عنه، ولكنهم يتجنبون الخوض في موضوعات مثل التجديد، والميلاد الثاني، والتسليم الكلي لله.

إن هذه الظاهرة ليست جديدة. نحن نقرأ في (يو ٢-٦) كيف حوّل يسوع الماء إلى خمر، وشفى المرضى، وبارك الطعام ومشى على الماء، وقد اتبعه جمهور غفير من الاتباع، ولكن عندما عرفوا في (يو ٦: ٤٧-٦٨) أن جسده هو الطعام الحقيقي وأن دمه هو الخمر الحقيقي، صاحوا قائلين: "إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ (يفهمه)؟" ما يقوله الآن يصعب

علينا فهمه، فكيف يمكن لأحد أن يقبله؟ واستاءوا من أقواله.
نحن جميعاً إيجابيون بشأن كلمة الفداء ونحب أن نقبل يسوع
كمخلصنا. ولكن، عندما يدعى أيضاً، "رباً" وإذا كان لا بد للرب
أن يملك على حياتي، فإن قليلين يكونون على استعداد لقبولها.
إن الكلمة اليونانية مقابل رب هي Kurios والتي تعني حرفياً،
رئيس، وسيد أو مالك. وفي سياق الكلام فإنه الشخص الذي
يحكم، وهو الرئيس، وهو الذي يصدر الأوامر، وهو الذي لديه
العبيد كرعائاه بالإضافة إلى ملكيته للعبيد. أن يكون لك مخلص
فهذا شيء رائع، ولكن كونك عبداً تنتمي إلى سيد يصدر لك
الأوامر؟ فهذا شيء غير محبوب. إن يسوع يطالب بأن يكون
الرب، والسيد لحياتنا. إنه لا يريد فقط أن يخلصنا من الخطية.
إنه يريد أيضاً أن يكون الشخص الذي يوجه حياتنا حتى نتم
إرادة الله الكاملة. ولهذا السبب يستاء الناس. يمكن أن يخلصني
من خطاياي، نعم، ولكنني أريد أن أختار لنفسي ما أريد أن أفعله
بحياتي، فأنا أريد التحكم في دفتر شيكاتي، وأريد أن أستقر على
طموحاتي الخاصة وأحلامي والطريقة التي أحقق بها ذلك. أريد
أن أقرر لنفسي ما هو صواب وما هو خطأ، وما أفعله بوقتي،
وأن أختار شريك الحياة الذي أريده وأريد أن أختار مهنتي

بنفسي. عندما يريد يسوع أن يمشي أمامي ويريني الطريق، فعندئذ يصبح غير محبوب.

يكون يسوع محبوباً عندما يكون عطوفاً ورحيماً. ولكن عندما يأتي كالقاضي ليدين ويعاقب على الخطية، وعندما يتوقع حياة مقدسة، يستاء الكثيرون. إننا نكون ممتنين حين تُغفر خطايانا عن طريق نعمته، ولكن ليس عندما ينبغي علينا أن نقلع عن تلك الخطية. نحن نتوقع المغفرة بسبب وجود علاقة آثمة مع شريك حياة شخص آخر، ولكننا نستاء إذا كان المتوقع منا أن نضع حداً لتلك العلاقة.

نحن نعترف بوجود أخطاء، ولكننا نستاء حين تدعى تلك الأخطاء خطية. نحن نغلف الخطية بكلمات "لطيفة". إن الزنا أصبح يدعى النوم سويًا، والتدليس أو الغش قد أصبح مهارة تجارية. وقد أصبحت الأكاذيب والأكاذيب البيضاء فنون البيع. وما هو كبرياء طبقاً للكتاب المقدس، يُعد تلميحاً للذات أمام العالم. وعندما تتسحق ذاتي وأشعر بالحزن على نفسي، ألقى باللائمة على سلوك شخص آخر. وعندما يطلق على ذلك اسم الخطية، يصبح المسيح غير محبوب.

تحدث يسوع كثيراً عن السماء وعن ملكوت السموات. إن معظمنا يشعر بالإثارة فيما يتعلق بالسماء ويؤمن بها. إن البعض

ممن يجدون أنه من السهل عليهم الإيمان عندما يتحدث الكتاب المقدس عن السماء، يجدون أنه يصعب عليهم الإيمان عندما يتحدث نفس الكتاب المقدس عن جهنم. إن الدراسة الشاملة لكلمات يسوع في العهد الجديد توضح أنه تحدث عن جهنم أكثر مما تحدث عن السماء. لماذا؟ لكي يجعل الناس يدركون حقيقة جهنم ولكي يحذرهم منها. في العديد من الكنائس يوجد أناس يستاءون عندما تذكر جهنم. ويقولون: "كلا، تحدث لنا عن يسوع، وعن محبته، وعطفه ورعايته. نحن نعيش في العصور الحديثة، وليس من المناسب أن نتحدث عن جهنم" إن نفس الكتاب المقدس الذي يتحدث عن السماء يتحدث أيضاً عن جهنم. فإذا آمنا بالواحدة، فعلينا أيضاً أن نقبل الأخرى. إن الله لا يقدم التنازلات التي تتفق مع مطالب المجتمع، والمجتمع العصري.

طالما أن يسوع يعطي الحياة الأبدية، وطالما إنه يجعل الحياة حلوة ويعطي الحياة الأفضل، يكون من المناسب أن تكون مسيحياً. وعندما ننضم إلى كنيسة "الطيبة" ويمكن أن نكون مؤمنين وسط شعبنا، فهذا رائع. عندما نخلص ويمكن أن نعني شيئاً للآخرين ونقودهم إلى يسوع، فمن الرائع أن تكون مسيحياً. ولكن عندما يتوقع منا يسوع أن نحب الناس خارج إطار لغتنا وألويات ثقافتنا وأن نعبد جنباً إلى جنب معهم، يستاء عدد كبير

منا. إذا استطعنا أن نرتل بفرح في الكنيسة وكان كل شيء يمضي بطريقة ورعة و "منظمة"، وفقاً للطريقة التي نشأنا عليها، فكل شيء على ما يرام. ولكن إذا كان الناس يرفعون أيديهم في الهواء، ويرنمون ترانيماً بلغتهم الأصلية، ويأتون بجيتار إلى الكنيسة، وحين لا يرتدي الواعظ رباط عنق، وحينما يتم تقدير عمل المرسلين في الدول الأخرى، أو حينما يدعونا الرب للمساهمة المادية أو حتى أن نذهب بأنفسنا إلى حقل مرسلي، فنحن لا نحب الذهاب إلى الكنيسة مرة أخرى ونشعر بالاستياء. وفجأة، لا يصبح يسوع محبوباً لدينا فيما بعد.

نحن نبدأ اجتماعاتنا بالصلاة، ولكن عندما يتحتم علينا أن نحل المشكلات، يتم تحذيرنا بأن نكون "عمليين وواقعيين" وألا نقحم الكتاب المقدس في كل شيء. وفجأة، نضع الكتاب المقدس في إطار مختلف عن الحياة، ونصبح مسيحيين لهم تفكير ورؤى مزدوجة.

يكون الكتاب المقدس محبوباً عندما يطلب مني أن أحب زوجي، ولكنه يصبح غير محبوب عندما يطلب مني نفس الكتاب أن أطيعه، لأنه يتوقع مني أن أموت عن الذات. (أف: ٥: ٢١-٢٣)

يكون كل شيء على ما يرام عندما يصفح الآخرون عني من

جهة آثامي، ولكنه لا يكون كذلك عندما يطلب مني يسوع أن أصفح، إلى ٧٧ مرة في اليوم، عن نفس ذلك الشخص الذي يثير سخطي ويستفزني. من الرائع أن أتبع يسوع، ولكن يكون من المزعج حين يطلب مني أن أحمل صليبي وأتبعه. إن الصليب دائماً يجرح المشاعر لأنه يؤدي إلى الموت الدموي الأليم. وهذا يجعل يسوع غير محبوب.

عندما يستجيب يسوع لصلواتي، وعندما يعطيني الحياة الأفضل (يو ١٠: ١٠: ١٠)، ويزودني بالطعام، والكساء، والوظيفة، والمنصب المتميز، وعندما أعامل بعدل ويكون كل شيء على ما يرام معي، يكون يسوع محبوباً. عندما أحصل على علاوة في المرتب، وأستطيع أن اشتري منزلاً أقضي فيه الإجازة، وأتمكن من شراء سيارة ثانية، وعندما يحقق أولادي الإنجازات ويجعلوني أفخر بهم، يكون يسوع محبوباً. عندما يأخذ الآخرون عني فكرة جيدة، ويعجبون بقدراتي، وعندما أحصل على ترقية، وأنال هدايا جيدة، وعندما أنال التقدير بسبب ما أقوم به من أعمال، يكون يسوع محبوباً. ولكن عندما أصلي لعدة سنوات ولا أحصل على استجابة، وعندما تفوتني الترقية، وعندما أصاب بمرض خطير، وعندما تضطر عائلتي لتقليل المصروفات حتى يمكن الموازنة بين الإيرادات والمصروفات في نهاية الشهر،

وعندما لا يحصل أولادي على المركز الأول ويحصلون على المركز الثاني والثالث، وعندما لا يقدرني الآخرون نظير الجهد الشاق الذي أبذله وعندما لا يحترمون شخصي، سرعان ما يصبح يسوع غير محبوب.

يكون يسوع محبوباً عندما أحصل على وظيفة جيدة، وأمتلك منزلاً بديعاً ويكون لديّ العديد من المقتنيات. يكون يسوع محبوباً عندما أنصح الناس في عالم العمل وتفلح النصيحة وعندما استمتع نتيجة لذلك بالمزيد من المركز والتقدير. يكون يسوع محبوباً عندما يكون لديّ ما يكفي لأعطي الآخرين، ولا أحتاج أن أطلب شيئاً من أحد وعندما لا أكون مديناً لأحد بشيء. ولكن يسوع يصبح غير محبوب عندما أفقد وظيفتي، وعندما يزحف الفقر عليّ واضطر لبيع سيارتي وأثاثي حتى لا أتضور جوعاً، وعندما يموت طفلي وعندما لا أقنع بالإجابات على صلواتي طلباً للنجاة. يكون يسوع غير محبوب بنوع خاص عندما اضطر أن أبتلع كبريائي وأطلب من شخص آخر قائلاً له: "من فضلك ساعدني، من فضلك ارحمني" نحن على استعداد لوضع نقودنا في طبق العطاء عندما يُمرر علينا في يوم الأحد، ولكن عندما يطلب منا يسوع تقديم عشورنا لعمله، وحتى يمكن تقديم المساعدة للفقراء والمحتاجين، فهو غير محبوب. يوماً ما

جاء شاب يجري إلى يسوع، وخر على قدميه أمامه مقدماً هذا السؤال: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" أوضح له يسوع الإجابة واستجاب الشاب إلى حد معين. ولكن عندما مضى يسوع ليقول له: "اذهب، بع كل مالك واعط الفقراء، ثم تعال اتبعني" استاء، وحزن، واستدار ومضى بعيداً. كان يسوع محبوباً إلى حد معين، ولكنه أصبح كثير المطالب.

عندما يساعدني يسوع في التغلب على بؤسي، فهذا شيء رائع. وعندما أحتاج للمال فيساعدني ويخفف أثقالتي، وعندما أكون مريضاً ويتدخل الله بطريقة معجزية ويشفيني، وعندما تُسرق ممتلكاتي وتعود إليّ، وعندما لا يكون هناك مخرج ويفتح الله الباب لي، يكون يسوع محبوباً. ولكن هل نحن على استعداد لأن نتصرف بحسب الطريقة التي تصرف بها أيوب عندما سُرقت كل مواشيه ومات كل أولاده في ريح عاصفة؟ "أللخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟"

عندما يأتي الاضطهاد ويتواصل يوماً وراء الآخر وأصلي ولكن لا نجاة، وعندما أكون مريضاً ولا أشفى (على الرغم من حقيقة أن جميع الذين يمارسون "الشفاء بالإيمان" قد صلوا لي)، وعندما لا يحبني الناس لأنني مؤمن، ويسخرون مني ويضطهدونني، بل ويسبونني ويدلونني، يكون يسوع غير

محبوب. في غالب الأحيان نبدأ حينئذ في أن نسلك طريقاً آخر، ونسكت، ولا نشهد علناً للمسيح ولا نرفع شعارنا المسيحي. قليلون هم الذين يفهمون ويقبلون كلمات يسوع حين قال: "طوبى للمطردين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجل أنكم كاذبين. افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم." (مت ٥: ١-١٢) إن بعضاً من أقوى الأدوات بين يدي الله أولئك الناس الذين كان عليهم أن يتحملوا الألم الجسدي الرهيب. إن سميث ويجل ورث Smith Wiggel worth، الذي صلى لأجل شفاء الآخرين وشهد معجزات فائقة أجراها الله على يديه، كان عليه هو نفسه أن يتحمل الألم والمرض. وهناك ديفيد برينارد David Brainard، والذي كان شاباً يصلي بقوة ويعمل وسط الهنود الحمر، عاش حياته القصيرة بجسد عليل وفي النهاية مات في التاسعة والعشرين من العمر. وهناك أيضاً هدسون تايلور، مؤسس "إرسالية الصين الداخلية"، الذي عرف المرض، والألم، والموت واليأس، ولكنه واصل عمله. وهناك اثنان من أعظم المبشرين على مر العصور، تشارلس سبرجن والكسندر ماكلارن، قاسى كلاهما توتراً عصبياً حاداً، ومع ذلك فقد استخدمهما الله بقوة.

في غالب الأحيان يقول لنا أبونا "نعم"، ويعطينا ما نطلبه، ويوجد بالقرب منا عندما نطلبه، ويفتح لنا الباب حين نقرع عليه. ولكن في بعض الأحيان نطلب الحكمة ولا ننالها بحسب الكيفية التي نريدها بها. وعندما نصلي يبدو لنا أن الله لا يستجيب، أو عندما نصلي لأجل شيء ما يعطينا الله شيئاً آخر. في أوقات كهذه، لا يكون يسوع محبوباً لدينا. وفي أغلب الأحيان نكون متمردين، ونمتلئ بالأسئلة والشكوك ونترك المشروعات والمهام التي يكلفنا السيد بها. إن كان الله يقول "نعم"، فله الحق أيضاً أن يقول "لا".

عندما نختار يسوع فنحن نعطي "اللزمة" بكاملها. إن إنساناً كثيرين يريدون التعامل مع يسوع والكتاب المقدس بالطريقة التي يتعامل بها الأطفال مع تورتة الكريز — فهم يلتقطون كل الكريز ويتركون الباقي. نحن نريد أن نأخذ ما نحبه، ونترك الباقي! يكون يسوع محبوباً حين يكون هناك الحديث عن التاج، ولكن يكون غير محبوب عندما يسبق التاج الصليب. لا يمكن ليسوع أن يحيا في قلب منقسم. إنه يحب أن يستولى على كل القلب، وإلا فليس هناك مكان له. هل قلبك بالكامل ملك له؟ المسيحية ليست مجموعة من القواعد والمبادئ الأخلاقية. إنها صلة بيسوع الحي المقيم. فأن تكون مسيحياً فإن ذلك لا يعني

فكرة فلسفية وعدد قليل من الأوامر والنواهي.
إن اتباع يسوع، أيضاً عندما لا يكون محبوباً، هو الطريق
الأخر.